تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٥ آثار الرومانيين في لبنان

اثنى صاحب سفر المكابيين الاوّل (٨ : ١—١٦) الثناء الحسن على الرومانيين واعمالهم فقال فيهم: « انّهم ذوو اقتدار عظيم ويُعِزُّون كلَّ من ضوى اليهم وكلّ من جاءهم آثروه بمودّتهم ولهم شوكة شديدة . . وكلّ من سمع باسمهم خافهم . . ومع ذلك كلّهِ لم يلبس احدٌ منهم التاج ولا تردّى الأرجوان مباهاةً بهِ . . وهم يفوّضون سلطانهم وسياسة ارضهم بجُملتها كلّ سنة الى رجل واحد وجميعهم يطيعونهُ وليس فيهم حسد ولا منافسة »

لعمري انّ هذا مديحٌ نمقّاً فاهَ بهِ الله على لسان الكاتب الشريف وصدق في وصف أمّة تنطق آثارها الباقية الى يومنا عن جاهها وعلوّ كعبها . ولم يُخرّم لبنان من شواهد عزّ الرومان وشوكتهم . ولو لم يُخلفوا لنا سوى آثار دير القلعة الذي مرّ وصفهُ في الفصل السابق لكفى بهِ شاهداً على صدق مقالنا اذ بيّنّا انّهُ معبد رومانيّ شيّدتهُ مستعمرة بيروت الرومانيّة . بيد انّ للرومان مآثر نجمة في جميع انحاء لبنان غير هذا المعبد فرأينا في ذكرها افادةً للجمهور ليطّلعوا على اعمال هذا الشعب الذي اضحى اسمهُ مرادفاً للفخر والعظمة

ولا بُدّ هنا من مقدّمةٍ موجزة يقف بها القارئ على احوال سوريّة في وقت تغلّب الرومان عليها في سنة ٦٥ قبل المسيح . لمّا قُتل انطيوخوس الثاني عشر ملك سوريّة . (سنة ٨٥ ق م) صارت البلاد في حالٍ من الضعف اطمع فيها دغرانّ ملك الارمن فزحف اليها بجيلهِ ورَجلهِ واستولى عليها غنيمةً باردة لم يقوَ احد على ان ينتشلها من مخالبهِ . فبقيت تحت حوزتهِ الى ان دارت عليهِ الدوائر في سنة ٦٩ لمّا غلبهُ القائد الروماني لوكلّوس في واقعة دِغرانوكِرت . فانتهز انطيوخوس الثالث عشر هذه الفرصة

ليستوي على عرش آبائه الا انَّ ملكهُ لم يدُم سوى اربع سنوات. وكانت سورية في تلك الاثناء قد تضعضعت قواها وتقهقرت امورها وانتقض حبلُها. وكان يُحدق بها شعوب قاموا لها بالمرصاد يتطاولون اليها طامعين في ملكها. تحدُّها جنوبا مملكة اليهود من بني حشمناي وهم لا يزالون في قلق متدارم. وكان النبطيُّون يملكون على حدودها الشرقيَّة ويحكمون على دمشق وضواحيها وعلى جبل الشيخ. امَّا قبائل البادية فكانت على ثغورها جمعاء تزاحمها وتشن عليها الغارات. ولمَّا صار الامر الى دغران صرف همتهُ الى عقد العهود مع زعماء هذه القبائل فجعلهم كوُّاد تجارته مع البلاد المتاخمة واشتهر من جملة هؤلاء سراة القبائل شيخان ملك احدهما على حمص اسمهُ سيغرام او سيسيكراميس (١ . اما الثاني فيُدعى عزيزًا وكانت دولتهُ على بادية شمالي سورية

ومن الدول العربيَّة التي اشتهرت في ذلك الوقت دولة الايتوريين ملكت على لبنان وعلى ساحل فينيقيَّة. وكان هذا الشعب تحنكا في آداب الحرب يُحسن الرَّمي بالنبال. وكان اصلهُ من الجبال الصخريَّة التي موقعها في شرقيّ دمشق المعروفة اليوم بجبل حوران او جبل الدروز واللجا. فلم يزل امرهُ يعلو ويقوى حتى تعدَّى حدود وطنهِ فاستولى على جبال الشيخ وبقاع العزيز فضرب ثمَّت خيامهُ واقام لهُ دولةً صغرى جعل عين جرّ (Chalcis) كعاصمتها. وما عمَّم ان تسوَّر قمم لبنان وحصَّنها بالقلاع ثم هبط الى سواحل الشام فاتَّخذ لهُ دولةً ايتوريَّة ثانيةً اضحت طرابلس مركزها. وكان هؤلاء الغزاة يبسطون كيل جحاف من مشارف لبنان فيغزون وينهبون لا يقوم في وجههم حاجز. واكثر من كانوا يأذَون بمكروههم اهلُ جبيل وبيروت لا يقوون على الذَّود عن حمى دياره ومزروعاتهم وسفنهم. ولا غرو انَّ الاسماء العربيَّة المحضة الواردة في كتابات يونانيَّة وُجدت في نواحي جُبيل وبترون ترتقي الى عهد دولة الايتوريين هؤلاء (٢

فتلك كانت حالة سوريَّة لمَّا ارسل بمبيُوس قوَّادهُ ليحتلُّوها وما لبث ان سار اليها هو بنفسهِ سنة ٦٤ فنظمها في سلك املاك الدولة الرومانيَّة وجعلها اقليمًا قائمًا بذاتهِ ثم

---

١) راجع المشرق ١ : ٧٢١ وكتابات وادنتون العدد ٢٥٦٧

٢) راجع Mission de Phénicie 199, 200

قلّم اظفار الفتن وفتح معاقل العُصاة وردّ قبائل البادية الى مساكنها الأولى واعاد السلم والنظام الى مجاريهما. ولمّا سعى اليه اهل طرابلس متظلّمين من ملكهم الايتوري ديونيس امر به فقُتِل بعد ان تثبّت ظلمهُ

ثم واصل بمبيوس سيرهُ في سواحل سورية ظافرًا وتوغّل لبنان واخذ عنوة قلعة جيجرتا (Γίγαρτα) الآتي ذكرها فأخربها كما انهُ هدم قلعة وجه الحجر (θεουπρόσωπον) وقوّض ابنية بترون حلول اصحاب الجنايات في ضواحيها. ولمّا قدم جُبيل مثّل بملكها كينيراس كما فعل بصاحب طرابلس ونفّس كُربة اهلها وجعل مدينتهم مستقلّة تحت حمى الرومان

ثمّ تخوّف بمبيوس وَعْثَ الشتاء فيمّم سهول البقاع ورياض دمشق ليُحلّ جندهُ في بساتينها الرائعة فينالوا هناك نصيبًا من الراحة بعد الاتعاب التي تجشّموها. فقطع جبل لبنان (١ وافتتح في طريقهِ قلعتَي برومة (Borroma) وسنّان (Sinnan) الوارد ذكرهما. فما دخلت السنة ٦٣ ق. م. حتى اتمّ الرومان فتح البلاد السورية واستقرّ لهم الامر في انحاء لبنان

ومن شروط المعاهدة التي عقدها الرومانيّون مع اهل الشام ان يَلزم سكّانُ البلاد شرائعهم وسُنَنهم ويجروا على نظامهم القديم ولا يُغصَبون في لسانهم ودينهم وعاداتهم. امّا المدن الساحليّة فجعل الرومان امرها شورى يدبّر شؤونها نُخبةٌ من اشراف البلد وابطلوا بذلك ما كان لملوكها من السلطة المطلقة. ثم ضربوا الجزية على الاهلين يؤدّيها لهم الذكور منذ سنتهم الرابعة عشرة والاناث منذ الثانية عشرة الى السنة ٦٥ من عمرهم جميعًا (٢ وفرضوا عليهم خراجًا جبوهُ من الاملاك يبلغ في المئة واحدًا. ورسموا ايضًا ضرائب ومكوسًا على الواردات والصادرات من السلع الا ان هذه الرسوم مع ثقلها كانت اخفّ على عاتق السوريين من المغارم والسُّخر التي حتّلهم بها ملوكهم سابقًا وكانوا يتقاضونها دون نظام معلوم وفي اي آن شاؤوا

فما مرّ على سورية الا الزمن اليسير حتى التأم صدعها وانجبر كسرها وانتظم شمل

---

١) لعلّ بمبيوس تسلّق بجنوده لبنان من جهة جُبيل مارًّا بالماقورة فاليشّونة الى بعلبك

٢) راجع Ulpiani Digesta, *Lib.* L, *leg.* 2, n. 3

السكّن فرتعوا في بحبوحة الأمن. وكان الرومان قد احيوا معالم العدل واماتوا سنن الجور يأخذون للضعيف من المقتدر وينشطون الجميع على الاعمال الشريفة والمشروعات المفيدة التي تعود عليهم بالمنافع العظيمة لاسيّما التجارة والبحارة والصنائع والفنون

امّا لبنان فأصاب من هذه الاصلاحات نصيبهُ الحسن. وكان هذا الجبل الشهير لما فتحهُ الرومان قليل السكّان فزاد اهلهُ بعد مدّة وخصبت تُربتهُ (١ وعاش اللبنانيّون في الرغد والهناء في حرمة رومة يشكرون لسياسة ولاتهم وينسون في ظلّهم الوارف وهم مع ذلك يجرون على سُننهم ويتصرّفون في تدبير امورهم كيف شاؤوا

ومذ ذاك الحين اخذت العوائد الرومانيّة تتغلّب على البلاد الشاميّة وانتشرت اللغة اليونانيّة في المراكز الكبرى حتى نَسي كثيرون اللغة الفينيقيّة واللغة الآراميّة لاسيما بين الاشراف واصحاب الثروة. امّا اللغة اللاتينيّة فبقيت محصورة في الدوائر الحكميّة لم يشع منها بين الجمهور غير مفردات تتعلّق بالموزونات والمقاييس والنقود والادارات السياسيّة والحرب كهذه: البريد والسجلّ والرحل والدينار والاوقيّة والبرج والاطربون والبوق والقومس والقسطاط والشُرطي وما شاكلها ولعلّ كثيرًا منها وصل الى العرب مجتازًا على ألسنة المتكلّمين باليونانيّة. وفي بعضها مسحة من اللغة الآراميّة (٢ . ومِمّا بلغنا من آثار اللغة اللاتينيّة كتابات قلائل سُطِّرت على بعض القبور. بيدَ انّ المستعمرات الرومانيّة في سوريّة داومت على التكلّم باللاتينيّة ومن جملتها مستعمرة بيروت. امّا العامّة فلم يزالوا محافظين على لغتهم الفينيقيّة والسريانيّة يؤخذ ذلك من الاسماء الآراميّة الواردة في الكتابات القديمة

ولمّا كانت السنة ٤٧ ق م قدم الشام يوليوس قيصر فنزل في ساحل عكّة مع جنودهِ ثمّ سار الى فينيقية ولبنان فتقاطر اليهِ الشعب واستقبلهُ استقبالًا شائقًا عمل في قلبهِ وحملهُ على افاضة نعمهِ على الاهلين فخفّف من عبء الضرائب ومنح المُدن التي طاف

---

١) وكذلك جرى في حوران. راجع المجلّة Z D P V, XXI, 21

٢) راجع ما قلنا عن اصل هذه الالفاظ في كتابنا الفروق. اطلب ايضًا المقالة التي حرّرناها في المشرق (١ : ٤٤٠–٤٤٨). وتريد هنا عن اصل كلمة « الشرطيّ » انّنا وجدناها في كتابة يونانيّة مكتوبة بصورة (Χώρτη) منقولة اليها من اللاتينيّة (cohors). وهي قرية من لفظة « الشرطي »

فيها مواهب وافضالًا عديدة والّف القلوب النافرة واعطى مدينة بترون الاستقلال وسار نسيبُهُ وَخلفُهُ اوغسطس قيصر على منهاجهِ واختصّ لبنان بنعم سابغة ووهب جُبيل أفضالًا عميمة. فقام اهل بترون وجُبيل بفروض الشكر لولي نعمتهما وأرّختا نقودهما بتأريخ اكسيوم(١ ذكرًا لانتصار اوغسطس على خصمهِ انطوان (٣١ ق.م)

(ستأتي البقية)

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس ترقال اليسوعي

(تابع لما قبلهُ)

الباب الاول

في المبادئ اللازمة معرفتها للموسيقي وفيهِ سبعة فصول

الفصل الاول

في تفسير الانغام المسأة ابراجًا

الصوت بحسب مراتبهِ وطبيعتهِ يُقسم الى مراتب غير متناهية بالقوّة وإن تناهت بالفعل وكلُّ مرتبةٍ هي جوابٌ لما دونها وقرار لما فوقها(٢ ثم ان كل مرتبة تُقسم الى سبع درجات الواحدة فيها تعلو الاخرى وهذه الدرجات يسمونها ابراجًا. وقد وضعوا لها

١) ورد هذا التاريخ في كتابة جُبَيلِيَّة تُعرف بكتابة البلاط (Mission de Phénicie, 224). وقد وجد الدكتور جول روفيه نقودًا أخرى تثبت هذا الامر لجبيل ولبترون ايضًا

٢) الجواب ما يسميهِ الافرنج l'octave supérieure d'une note والقرار l'octave inférieure والمرتبة اي الديوان ما يدعونهُ une octave او gamme